الشريف . وبذلك يعتبر بحر العلوم شاعراً من شعراء الدعابة ، بادق ما في هذه الكلمة من معنى .

وهناك شعراء آخرون برزوا في هذه الحقبة ، ثم انسحبوا دون أن يتركوا وراءهم أثراً يمكن استقصاؤه بشيء مع الدقة والتحديد، نذكر منهم علي الخطيب وأنور شاؤول، وكلاهما من المدرسة القديمة ، مع بعض المحاولات الفاشلة في التجديد . وحافظ جميل ، وهو من هواة الشعر ، ذو طابع متميز في شعره،أفاد من اطلاعه المحدود على الآداب الاجنبية،ولكنه لم يحاول تجديداً في الاسلوب ، والشكل ، ولا في الأغراض .

★

أما الشعر العراقي المعاصر – بأضيق معانيه– فقد نشأ في الحرب الكونية الثانية ، وتبلورت مقوماته من خيوط الثقافات المتشابكة التي وفدت على الشرق ، ومن بواعث البيئة والعصر. ولعلنا نستطيع القول ، بأن الشعر العراقي اليوم ، هو ثمرة من ثمار رد الفعل المباشر على المدرسة القديمة في الشعر العراقي . واذا ما سلمنا بأنها « رد فعل » أو حركة ارتجاع على التراث الشعري القديم ، لم يعد يتأبى علينا تفسير هذه الظاهرة الموحدة التي كدنا أن نفتقد فيها التميز الذاتي بين الشعراء . فهي – في حقيقتها – مدرسة واحدة ذات نماذج تخضع في وجودها لموثرات متشابهة متكررة . فالنموذج الواحد – في معظم الأحيان – يتطابق تطابقاً غريباً مع النموذج الآخر ، من حيث القالب والمحتوى والموسيقى وحتى الألفاظ .

ونحن إذ ننص على هذا التشابه او التجانس، بين نماذج الشعر العراقي الحديث ، لا ننكر وجود التباين بين الافراد ، في طرق التعبير ، والاختلاف في الطوابع والميزات ، ولكننا – عند النظرة الشاملة – نكاد نعتبر هذه الحركة الشعرية الجديدة ،تنمي الى مدرسة واحدة،نهلت من معين واحد ولا زالت تخفق أجنحتها في أفق لم تلونه الأحداث المتعاقبة بعد .

فقد رفدت القنوات الفكرية الحديثة،الشعر العراقي وبدأت تؤثر في شخصيته ومقوماته الفنية ، وذلك في أعقاب الحرب : بعد عام ١٩٤١ على وجه التحديد . فأحالت هذه الرجة الروحية ، الزخرف اللفظي والعبث الفني عندنا ، الى تجارب حية دمغت أدبنا العراقي بميسم لا يحول . وقد استطاعت هذه الحركة أن توائم بين الموضوعية والذاتية– على أيدي نفر من شعراء الشباب ، وأن توسع من آفاق الشعر وصياغه . فجدت في الشعر موضوعات وأغراض لم نكن نعهدها في تراثنا الموروث ، كانت حصيلة التجارب بين الشاعر وعصره . فرفضت كثيراً من التقاليد المقدسة في الشعر ، والعريقة في الزمن،تلك التي بقي الشعر العراقي مكرهاً عليها ، معرضاً للفحات اوارها المسموم !

ومن روّاد هذه الحركة الشعرية الأخيرة ، بلند الحيدري . ظهر ديوانه الاول « خفقة الطين » عام ١٩٤٧ ، وهو مجموعة من القصائد ، نشرها في مختلف الصحف العراقية والعربية . وكان بلند الحيدري ، الشاعر المتشرد يومذاك ، قد انضم لجماعة « الوقت الضائع » ، وهم نفر من الشباب القلق الحائر ، استمدت مفاهيمها ومثلها من النظريات الحديثة في الادب والفنون . وكان لاتصال هذه الجماعة ببعض المثقفين والفنانين أكبر الاثر في توجيههم وإخصاب نتاجهم .

وقد لمس بلند الحيدري ، التيارات الحديثة التي وفدت على العراق من لبنان ، وقرأ بنهم شديد ما كانت تنشره الصحف اللبنانية من شعر وبخاصة « الأديب » اللبنانية ، و « الثقافة » المصرية أحياناً .. سحره الغموض في الشعر ، كما سحر الكثيرين من زملائه ، كرد فعل للمناهج التقليدية الغابرة ، فأغرم بمطالعة سعيد عقل والياس ابي شبكة ومحمود حسن اسماعيل . ونجد ان معظم قصائد ديوان « خفقة الطين » تمت الى أبي شبكة بنسب قريب . فقصيدة « تابيس » مثلاً ، معارضة واعية لقصيدة « شمشون » في ديوان « افاعي الفردوس ».

فقد حاول بلند الحيدري أن يثور ، في تجربته الشعرية على الرومانتيكية المألوفة في الشعر العربي ، فما أفلح في ديوانه الاول ... أراده أن يكون إعصاراً فلم يكن غير خفقة ريح !

أما في ديوانه الثاني « أغاني المدينة الميتة»، فقد تخلص الحيدري من عقابيل الرومانتيكية التي لحقت شعرنا العراقي الحديث،بعد أن اتصل بالتيار الوجودي ، فطبعت اجواءه النفسية بطابع متميز خاص . ومن أصدق شعره وأدله على هذا الاتجاه قصيدته « في الليل » .

في الليل إذ تدفن الموتى لياليها
وتتكي الانفس التعبى على أبد
لم يدر أن يدي حاكت مآسيها
من كل ما فيها
وأنني في سكون الليل أسيان

وقصيدته الأخرى »العقم » :

نفس الطريق
نفس البيوت،يشدها جهد عميق
نفس السكوت ،
كنا نقول غداً يموت ، وتستفيق
من كل دار
أصوات أطفال صغار ...

حياتي

لعنتِ
لا كنتِ ولا كان لي
هذا الهوى المغلول بالموتِ
وفي غد اذ يمحي صوتي
اذ تيبس الالوان في صمتي
لن تسمعي من عالمي الميتِ
لن تسمعي
غير صدى يزحف في اضلعي
غير صدى يصرخ في وحشتي
ويقطع الامال عن مغزلي
يا انتِ ... يا لعبتي
يا رعشة الاثام في توبتي
لعنتِ
لا كنتِ ولا كان لي
هذا الهوى المغلول بالموت

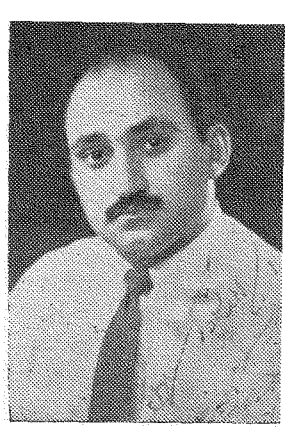

بغداد **بلند حيدري**

٥٤